الاراضي المحتلة وفي غزة بالضبط ، والتي تدل على ان المقاومة الفلسطينية لم « تنته » ولم « تهزم » بالرغم من نكستها العسكرية ــ السياسية في الاردن، وبالتالي قدرتها على تجديد نفسهاواستعادة قوتها وحيويتها للاستمرار بمهمتها وذلك مرهون بشكل اساسي بمدى اخلاص القوى الثورية لثورتها ، ومدى التزام القوى السياسية بمبادئها ، مبدأ استراتيجية حرب الشعب وأسلوب الكفاح المسلح ، مع الاخذ بعين الاعتبار ضرورة تطوير ذلك الاسلوب وتعميق تلك الاستراتيجية ،لترتفع الى مستوى المعركة الوطنية ــ الطبقية التي تخوضها وترتقي الى مصاف الحركات الثورية الوطنية القادرة على انتزاع المبادرة من الانظمة لنفسها ــ لجماهيرها في حسم توازن القوى السياسية لصالحها .

وينتقل العظم الى مناقشة المقاومة الفلسطينية من زاوية تبريرها « للهزائم » والنكسات ، فيقول : « في هذه المحاولة لدفع مسؤولية الهزيمة عن فتح وعن فهمها العسكري والسياسي لا نجد الا تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى محاولة التملص من مسؤولية ما حدث عن طريق اسقاطه ، على العوامل الخارجية وحدها مثل شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الاميركي الى جانب اسرائيل الى آخر ذلك مما يذكره القارىء جيدا » (ص ٦٣) .

ان العظم لا يرى هنا وفي كل كتابه تقريبا الا الجانب السلبي من المقاومة ، بالرغم من أن أبسط شروط النقد هو وضع سلبيات الموضوع ومناقشتها بجانب الاعتراف بايجابياته . لا شك بأن كل وطني شريف ومخلص يطمح للتحرير الوطني ــ الطبقي يرفض الا ان يستفيد من أخطائه وبالتالي يرفض المنطق التبريري والتفكير الذرائعي الذي يقود في النهاية الى الفشل تلو الفشل والسقوط تلو السقوط . الا ان العظم يرفض حتى المنطق النقدي الموضوعي وينجرف في بعض مقارناته ما بين الانظمة العربية والمقاومة الفلسطينية الى درجة الانزلاق «الرجعي» الذي لا يميز بين « أخطاء » الانظمة واخطاء المقاومة وامكانات وظروف الانظمة بالمقابل مع المقاومة والطبيعة الطبقية والتمثيلية او التعبيرية للانظمة بالمقارنة مع المقاومة . وذلك بسبب شغف العظم في « نقد » المقاومة بمعزل عن الواقع ــ واقعها العام والخاص ، لدرجة التشهير بها وبقدراتها وامكاناتها ، انطلاقا من مناقشته لذاتية المقاومة وبالتحديد لذاتية فتح وتحميله لها مسؤولية الفشل كل الفشل (قياداتها ــ استراتيجيتها ــ تكتيكاتها ــ كوادرها ــ علاقاتها التنظيمية) ودون درس واحاطة شاملة لولادة المقاومة وتعاطيها مع الواقع من جهة وتعاطي الواقع (الانظمة ، الجماهير ...) معها من جهة ثانية . لذلك لم ير العظم في نقد المقاومة لنفسها الا « تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى » . هكذا ، وبشطبة قلم ، استطاع العظم أن يصفي حساباته مع المقاومة والانظمة دفعة واحدة ، دون ان يحدد معالم التمايز ما بين الطرفين اللذين يعتبرهما هو في الاصل في حالة تناقض رئيسي ، ودون ان يرى حدود الانظمة التي سقطت برامجها السياسية وفشلت تاريخيا بالرغم من استمرارها على سطح الوطن العربي وحدود المقاومة التي انتكست في جولتها الاولى ولكنها لم تسقط تاريخيا ولم يفشل المنحى العام لبرنامجها السياسي الذي هو وحده القادر ، في حال تطويره وتجذيره ، على قلب موازين القوى الطبقية ــ السياسية لصالح قوى التحرر والثورة . لذلك نرى ان سبب نكسة أيلول تتلخص بعاملين ، ولها وجهان ، الاول ذاتي تتحمل مسؤوليته المقاومة والثاني خارج عن ارادة المقاومة ويتمثل ــ عكس ما يراه العظم ــ في « شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الامريكي الى جانب اسرائيل » في الوقت الذي لم تكن المقاومة استكملت نفسها وبظل فقدانها للظهير الثوري المساند لها لمواجهة اي حرب نظامية شاملة وواسعة كالتي جرت في الاردن .

ونلاحظ انسياق العظم وراء أحادية « النقد » و« التحليل » في مجمل كتابه من خلال تطرقه لبعض تصرفات المقاومة . فهو مثلا لا يرى في مسألة خطف الطائرات الا بعض الجوانب الانسانية والاخلاقية والاعتبارات العسكرية أو الاقتصادية دون ان يشمل ذلك الموقف السياسي في مناقشته ، والوظيفة السياسية التي تحققها الاعمال العسكرية في حال نجاحها ، فهو يقول : « ليس باستطاعة اية حركة تحرر جدية ان تستمر الى ما لا نهاية في تنفيذ سياسة تعتبر أي مواطن امريكي او اي مسافر هندي يصدف ان يكون على متن طائرة تابعة لشركة بان اميركان مسؤولا عن جرائم الطبقة الحاكمة الامريكية في الفيتنام والشرق الاوسط ، أو عن الاستغلال الامبريالي الذي تمارسه شركة الطيران المعنية في أنحاء العالم ، فيستحق بذلك ان تعرض حياته لخطر الموت والدمار » (ص ٥١) . واذا